... آمَنّا بِهِ وبِنُبُوّتِهِ...

وقد يتساءل الإنسان: ماذا عن الفترة التي سبقت نبوّته صلوات الله عليه؟.

وفي الجواب يروي العرباض بن سارية رضي الله عنه: أن النبيّ ﷺ قال: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإنّ آدم لمنجدلٌ في طينته»[1].

ويروي مسيرة الضبّي رضي الله عنه، فيقول: قلت: يا رسول الله، متىٰ كنتَ نبيّاً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[2].

ويُفسّر هذا قول الصحابة، منها ما روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لم يبعث الله نبيّاً من آدم فمن بعده إلاّ أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بُعث، وهو حيٌّ، ليؤمننّ به ولينصرنّه، ويأخذ العهد بذلك علىٰ قومه[3].

وقيل: إن الله تعالىٰ لما خلق نور نبيّنا محمد ﷺ أمره أن ينظر إلىٰ أنوار الأنبياء عليهم السلام، فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به، فقالوا: يا ربنا، من غشينا نوره؟ فقال الله تعالىٰ: هذا نور محمد بن عبد الله، إن آمنتم به جعلتكم أنبياء، قالوا: آمنا به وبنبوّته، فقال الله تعالىٰ: أشهد عليكم؟ قالوا: نعم. فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

ورحم الله الشيخ تقي الدين السبكي عندما قال: في هذه الآية الشريفة من

---

(١) مسند أحمد: ٤/ ١٢٧.

(٢) مسند أحمد: ٥/ ٥٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢/ ٦٤ ـ ٦٥.

التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العليّ ما لا يخفىٰ ، وفيه مع ذلك: أنه علىٰ تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم ، فتكون رسالته ونبوّته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلىٰ يوم القيامة ، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ، ويكون قوله ﷺ: «وبُعثت إلىٰ الناس كافة» لا يختصّ به الناس من زمانه إلىٰ يوم القيامة ، بل يتناول من قبلهم أيضاً ، ويتبيّن بذلك معنىٰ قوله: «كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد»[1].

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

قبل أن يخلق الله تعالىٰ الأجساد ، جعلك خاتم الأنبياء وأولهم ، وأخذ علىٰ الأنبياء العهد أن يتّبعوك وينصروك ، فصلوات الله عليك في كل وقتٍ وحين:

كـــلٌّ إليـــكَ بكلّـــه مشتـــاق ... وعليـــه مـــن رقبـــائـــه أحـــداقُ
يهـــواكَ مـــا نـــاح الحمـــام بـــأيكـــةٍ ... أو لاح بـــرقٌ فـــي الـــدجىٰ خفّـــاقُ
شـــوقٌ إليـــك لا يـــزال يـــديـــره ... فجميعـــــه لجميعـــــه عشـــــاقُ

* * *

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، للعلامة القسطلاني: ١/ ٦٢ ـ ٦٣.